19- ريماس صالح

442-منذ فترة والفيسبوك يعيد تذكيرنا بما كنا عليه في الماضي، ومع كل ذكرى أدرك أسباب انتحاري!

¤¤¤

443-أعجبتني هذه اللوحة التي تمثل امرأة شفافة الملامح تقف بمدخل باب حجرة أرستقراطية الأثاث، وقررت أن أضعها في غرفة الضيوف، وفي كل مساء تختفي المرأة من اللوحة لتعود في صباح اليوم التالي بفم يقطر دمًا على أريكتي!

¤¤¤

444-وقفت الأم تفرز الملابس المتسخة، وأخيرًا نجحت بعد مشقة وجذب مع ابنها ذي العام في أن تضع الملابس بالغسالة ووضعت المسحوق، ولكنه كان ينازعها على فتح باب الغسالة وفي النهاية ابتسمت بانتصار وهي تضغط الأزرار لتتنهد في ارتياح فالغسالة مبرمجة على عدم الفتح فور ضغط مفتاح التشغيل، غادرت مكانها بعد أن يئسَ هو من المحاولة وذهب باتجاه التلفاز حيث قنوات الأطفال وجلس يحدق بالشاشة في سعادة. تعجبت الأم من هذا الاستسلام وابتسامة السعادة التي تحتل وجه طفلها، ليفزعها صوت ارتطام شيء حاد مصدره من الغسالة، وأسرعت باتجاهها ليصدمها رؤية هاتفها المحمول وهو بالداخل، وأتبعها صوت ضحكة طفولية.

¤¤¤

445-أخبرني عبر الهاتف بصوت يكاد يقفز من السماعة من شده الفرحة أنه أخيرًا نجح في تلبية شروط والدي بشأن شروط الزواج، وأنه في الطريق إلينا. انتشرت البهجة بالمنزل وجلسنا ننتظر قدوم

حبيبي وخطيبي وبعد تنفيذه لشروط أبي بشأن الشبكة وتفاصيل الزواج سوف يصبح زوجي قريبًا.

دق الباب وأسرعت أفتح ليصعقني مظهره وقد أغرقت الدماء ملابسه والخدوش الدامية على وجهه، شهقت فزعًا.

- ماذا أصابك؟ هل أنت بخير؟

أجابني وقد اتسعت ابتسامته بكل فخر وثقة:

- نعم.. يا حلم عمري.

وأخرج بيده الملوثتين دمًا، علبةَ مستطيلية الشكل وقال وهو يفتحها:

- لقد أحضرت الخاتم الألماس.. كما طلب والدك.

أظلمت الدنيا أمام عيني وأنا أرى محتوى العلبة، فقد كان بها إصبع امرأة مطلي ظافره بالمانيكير الأحمر ويزينه خاتم ألماس.

¤¤¤

446-هذا الصباح استيقظت فزعًا على خصلات الشعر التي تناثرت على فراشي وأرضية غرفتي، انتابني الخوف، ولكن هدأت لأن شعري كستنائي اللون، وتلك الخصلات فاحمة السواد. أصابني الهلع في اليوم التالي وقد ازداد الأمر سوءًا، بدأت أخمن أنه أحد مقالب زوجي. وقررت أن أظل مستيقظة، ولكن أغفلني النوم مع الساعات الأولى للصباح واستيقظت لأجد نفس الخصلات السوداء تغطيني بكاملي. أمسكت بقلبي خوفًا من أن يقفز هاربًا، وقررت استخدام كاميرا المراقبة لمعرفة السر وراء هذا.

وجلست فاغرة الفاه مصعوقة برؤيتي لتلك الفتاة مع دقات الثالثة تجلس على فراشي وتمزق خصلات شعرها وتنظر لي عبر الكاميرا بابتسامة شيطانية وهي تضغط على مخارج الحروف:

- أنا لعنتك.

الآن أتذكر تفاصيل هذا الوجه الذي صدمته بسيارتي في الشتاء الماضي.

¤¤¤

447-أمسك السكين وظل يطعن ذلك الكيان الملقى في أرضية غرفته بلا توقف وكلما حاول الكيان مقاومته أصبحت طعناته أعمق وأقسى إلى أن أصبح جثة هامدة.

جلس على فراشه يلهث وأخرج بثبات يحسد عليه سيجارة وأشعلها بكل ثقة دون أن يغمض له جفن.

وبدأ ينفث دخانها في استمتاع وهو يتأمل هذا الكيان الذي انكمش حجمه حتى اختفى فلم يصبح له أي أثر.

تعالت همسات الشياطين في رأسه مجلجلة: الآن يمكنك فعل ما تريد بعد أن قتلت ضميرك!

¤¤¤

448-جدتي منذ الصغر تفزعني عيناها البيضاوان. في إحدى المرات همست بأذني قائلة:- أعرف أنك تحبني، ولكن عينيّ تخيفانك فتتحاشى النظر إليهما.. ولكن يا عزيزي سأخبرك سرا..

وصممت للحظة قبل أن يحدق بياض عينها إلى عيني مباشرة وأكملت بصوت كالفحيح: لقد عاقبوني لأني رأيتهم.

¤¤¤

449-كان سر عشقي لها هو جمال عينيها. لم أترك لقاء أو مناسبة إلا وأبديت افتتاني وغرامي بجمال عينيها، في الآونة الأخيرة تشاجرنا كثيرًا إلى درجة جعلتها تنفعل وتطلب مني لقاءً عاجلً.. ذهبت لموعدنا لأجدها غاضبة وقد أحضرت كل ما أهديتها إياه أو أي شيء يذكرها بي وتجادلنا وتشاجرنا وغادرت ناقمة، عادت بعد لحظات فظننتها قد اشتاقت إلي لكنها نزعت عينيها بحدة وألقتهما باتجاهي في عنف:

- خذ.. لا أريدهما فهما يذكرانني بك.

¤¤¤

450-عندما تمت دعوتي إلى تلك الجلسة، كنت على يقين من قدراتي وثقتي في كشف أي احتيال أو خدع، كما كنت متأكدًا أن هذا هو سبب تلك الدعوة.

تأملت الحاضرين بحذر، ثلاثة شباب منهم صديقي الفاحش الثراء وامرأة أوروبية الملامح.

التف الجميع حول تلك المنضدة المستديرة وقد تركوا لي حرية الفحص والتفتيش وعندما انتهيت أشاروا لي كي أجلس بينهم بعد أن أظلم أحدهم الغرفة إلا من مصباح كهربائي يتوسط المائدة.

بدأت المرأة الأوروبية في توجيه التعليمات بلغة عربية فصحى تحسد عليها، ثم أمسكنا بأيدي بعضنا وأغمضنا أعيننا وبدأت هي تهمس بصوت خفيض بكلمات لا أفهمها، فتحت عيني لأتأمل المشهد بابتسامة ساخرة قبل أن أغمض عيني منتظرًا ما سيحدث.

اهتزت المقاعد بشكل مفزع قبل أن تصرخ المرأة بصوت عال ويسود الظلام.

صحت بهم: أضيئوا الأنوار.

همس أحدهم: ليس قبل أن تأمرنا هي.

كدت أنفجر غضبًا لكن الصداع الذي سيطر على رأسي فجأة جعلني أتلوى وأصرخ من الألم، وسمعت من حولي يشاركوني الصراخ.

ليصرخ بنا صوت أعرفه جيدًا: توقفوا.

لقد سمعت هذا الصوت من قبل أنا متأكد. قطع تساؤلاتي إضاءة الغرفة التي عادت وقد وقفت المرأة تنظر لنا بعيون تلمع بالنصر لكني لم أكن أراها هي كما كانت، كنت أرى روحي التي أصبحت سجينة بها.

فقد كانت جلسة تبادل الأرواح وليس تحضيرها

¤¤¤

451-- ماما.. الابلة عضت علي علشان يبطل شقاوة!

ابتسامه ترحيب بخيال الابن الجامح

- ماما.. الأبلة أكلت ودان سالي علشان تسمع الكلام!

نفس الابتسامة ولكن شبح التوتر يحوم حولها

- ماما.. الأبلة فتحت دماغ ماجد!

خيم الغضب على نبرات صوتها وهي تعاتب ابنها على هذه الخيالات الدموية.

في اليوم التالي جلست تنتظر خدعة جديدة من خياله الطفولي لكنه ظل صامتًا وهو يخفي كف يده الأيسر بعيدًا عن نظرها، انتابها الفضول وأمسكت بيده تتفحصها وشهقت في ذعر:

- فين صباعك الصغير؟

أجابها وهو يكفكف دموعه:

- الابلة أكلته!

¤¤¤

452-كانت ابنته ترتجف، ويعجز لسانها عن النطق، ولكنها قالت وهي تشيح وجهها بعيدًا عن جثة مالك البيت الممدة بجانب قدمها:

- لا أعرف.. أقسم لك يا أبي إنني لم أفعل شيئًا سوى إحضار زجاجة مياه مثلجة ولكنه ما إن التفت نحوي حتى اتسعت عيناه وشاب شعر رأسه فجأة وسقط ميتًا..

¤¤¤

453-حائط الذكريات

التقط بعدسه كاميرته المميزة .صورة اخرى واضحة. وابتسم بفخر وهو يري نتيجة عمله وها هي أسرة أخرى سعيدة سوف يضيفها إلى حائط الذكريات.

غادر المكان وقد كانت العاصفة على أشدها فالليلة عيد الكريسماس.
بداخل منزله اتجه إلى الأستوديو الخاص به ليحمض الصور وبعد عدة معالجات بدأت ملامح الصور فى الوضوح تحت الإضاءة الخافتة. الوجوه الفزعة والأفواه الصارخة والمنجل الذى يحصد الرؤوس وصورة بجودة ممتازة لأفراد الأسرة وقد علقوا على خطافات. اتسعت ابتسامته الوحشية وبريق الجنون يلمع في عينيه وهو يضيف هذه الصور إلى حائط الذكريات . ويتراجع إلى الخلف ليشاهد تلك الصور الدامية التي تراكمت مع مر الأعوام.

¤¤¤

454-ثلاث دقات، والرابعة يصاحبها صراخ، والخامسة أنهار من الدم تغرق المكان، والسادسة المرايا تنكسر، والسابعة الصمت يسود المكان، والثامنة يخرج الثعبان، والتاسعة...
انتفضت محضرة الارواح متشنجة والرغوة البيضاء تخرج من بين شفتيها وقد ذهب بياض عينيها ليحل السواد وارتمت على الأرض تضرب برأسها وهي تصرخ بلا توقف.

فشلت كل محاولاتنا معها، حتى شريكتها في العمل كانت تنتفض من الفزع لما أصابها.

بعد فترة ليست بوجيزة بدأت تهدأ وقد جرحت رأسها وسال الدم ليغرق أرضية غرفة الاستقبال الخاصة بمنزلنا، فقد انتقلنا حديثا لهذا المنزل لأنه ميراثنا الوحيد من عمتي.

بعد أن استعادت مستحضرة الأرواح أنفاسها، أخبرتنا بسر المنزل اللعين، وأنه إذا أردنا النجاة والسلامة علينا الرحيل.

لقد كشفت لنا سر عمتي الدفين. الذي جعلها تفضل الوحدة. لقد كانت متمرسة في السحر الأسود وتخصصت في دفن أعمالها مع الموتى وبعد ثلاثة أيام يبدأ مفعول العمل

¤¤¤

455-يا لها من بلهاء ! تظن أني سوف أخشاها كلما نظرت في المرآة. هي لا تعلم أني استخدمت تعويذة لأتخلص منها وأسجنها هناك دون قطرة دم واحدة.

¤¤¤

456-جلست كعادتي كل صباح أرتشف قهوتي وأنا أتابع بكل تركيز جارتي وهي تعد الإفطار لزوجها. وابتسم متهكمة من تفانيها. وإذا بها تمسك بمقلاة كبيرة وتطيح بها رأس زوجها بكل عنف وقسوة. فغرت فمي وسقطت القهوة على ملابسي. وصحت منادية زوجي وأنا أتابعها لتفزعني التفاتتها نحوي وتحديقها بي وهي تبتسم في خبث. هممت بمغادرة مقعدي هاربة من جحيم نظراتها لأصطدم بزوجي وقد أمسك بمقلاة مشابهة وفي وضع استعداد ليطيح برأسي.

¤¤¤

457-مط شفتيه في استياء قبل أن ينزع عويناته ويتأملها في حيرة متمتمًا:

- هذه النظارة تحتاج إلى تغيير.. كلما ارتديتها أراك برأس غول أحمر ناري.. وما إن أنزعها حتى أراك على طبيعتك كما أنت الآن.. بلا رأس.!

¤¤¤

458-اخلق معي حديثًا.. ربما أرغب في كسر رأسك حتى أكون بخير.!

¤¤¤

459-وقف يدخن سيجارته خارج باب المشرحة، وشرد تفكيره في أن التدخين ممنوع بداخل المشرحة، فابتسم محدثًا نفسه بتهكم:
- يحافظون على صحة الموتى.

إلى إن مر بجانبه مجموعة من الشباب وألقوا عليه السلام فردَّه مغمغمًا وتابع التدخين، ولكن فجأة اتسعت عيناه فزعًا عندما تذكر وهو يلتفت وراءه ان هذا الشارع مسدود بذلك الحائط الجداري الذي يستند إليه.

¤¤¤

460-جلست على أحد الأرصفة تلملم أطراف ثوبها الرث وتحتضن تلك الكومة من الأسمال البالية، وكلما اقترب أحدهم منها صدر صوت طفل رضيع، فتمتد يدها للمارة تتسول لقمة العيش، رق البعض لحالها ومنحوها الهبات.

كل يوم تتسول في نفس المكان وتغادر قبل المغيب، بعد مرور أسبوع بدأت رائحة كريهة تفوح منها ومن حولها، وبدأ الناس ينفرون منها ومن رضيعها، فجأة تعالى صوت نباح كلب تبدو عليه علامات الشراسة وقد ظل يزبد وهو يقترب منها، ارتعبت والقت برضيعها أرضا وهرولت هاربة.

احتار الناس بأمرها وصعقهم هجوم الكلب على كومة الأسمال، ليتضح للعيان جثة طفل متهتكة ومتعفنة، وقد التصق بها جهاز تسجيل يصدر صوت طفل رضيع.

¤¤¤

461-بيت الشجرة

تلمست جدرانه الخشبية العتيقة وأوراق الرسم التي زينتُ بها حائطه. جلست على أرضيته أتأمل بيت الشجرة وقد صغر حجمه كلما كبرت أنا في العمر. أشعر بأني محبوس لم يعد يتسع لطفولتي

المعذبة. أجول بعيني في خطوط أقلام التلوين الدامية وهي تبحر في ذكرياتي لتعيدني طفلًا ذا أربعة أعوام ينهال عليه أبوه بالصفع والركلات وما إن تنهار والدته صارخة يجدها ثغرة ليفر إلى ملاذه الوحيد.

أحاول التنفس وقد خنقت الذكريات قلبي، والخدوش الدامية لا زالت محفورة بخشبه العتيق .

استلقيت على أرضيته وقد اتسعت ابتسامتي، هنا كان مولد صديقي الخيالي، رفيق وحدتي، همس بأذني: هيَّا لنرحل . لقد انتهت مأساتك الآن.

أضحكني حديثه وجدد النشاط بعروقي ونفضت عني تلك الأتربة التي علقت بملابسي وأنا أحفر قبر أبي بكل حماس، لأدفنه حيًّا.

¤¤¤

462-أخبرتني أمي أن الحب لا حدود له، وصدقتها دون نقاش، إلى أن رأيته يبتسم، ابتسامة كشفت عن غمازاته الساحرة أمام مرآتي. اخترقت كل قوانين الطبيعة، وانتزعت نفسي من عالمي حتى أعيش معه، لكن كلما اشتقت إلى ابتسامته، واقتربت منه، انتابته حالة من الهياج والصراخ، وظل يحاول الفرار من حبي المستعر.

مخلوق من الطين وأنا نارية.

¤¤¤